جامعة حلوان
كلية التربية الفنية

العلاج بالفن وأنماط العلاقة عبر الأجيال : المنازل الداخلية والخارجية

Art therapy and Attachment patterns through the generations: internal and external homes

بحث إعداد

أ.د / مصطفي محمد عبد العزيز
أستاذ علم النفس ، ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين (المتفرغ)
كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

أ .د / عفاف أحمد محمد فراج
أستاذ علم نفس التربية الفنية (المتفرغ)
كلية التربية الفنية
جامعة حلوان

يناير ٢٠٢٠

العلاج بالفن
و"أنماط العلاقة عبر الأجيال: المنازل الداخلية والخارجية

أ.د / مصطفي محمد عبد العزيز
أستاذ علم النفس ، ومادة تحليل التعبير الفنى لفنون الأطفال والبالغين (المتفرغ)
كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

أ .د / عفاف أحمد محمد فراج
أستاذ علم نفس التربية الفنية (المتفرغ)
كلية التربية الفنية
جامعة حلوان

مقدمة:

يتعرض البحث الحالي لجهود الباحثة Frances O'Brien حيث تصف الباحثة الانتماء غير المنظم أو الارتباط غير المنظم في انتقاله عبر الأجيال في عملها الفردي مع الجدة والحفيد ، والبحث الحالي يتعرض لجهود Frances O'Brien في رعاية القرابة وأزمات العلاقة المبكرة فضلاً عن تفسير مُفيد لمساهمة العلوم العصبية في فهمنا لكيفية تعامل الطفل مع خبراته الأولى، وهذا يعطى مقدمة للتفكير في الذاكرة واللاإرتباط وكيف أن ذلك يؤثر في بعض الأطفال ، خاصة هؤلاء الأطفال الذين يلقون رعاية واضحة. الوصف الإكلينيكي يشير إلى كيف أن استخدام صور العلاج بالفن بالإضافة إلى الصور اللفظية من العلاج النفسي يكون واضحاً فى العمل.

عملت الباحثة فى فريق CAMHS مع الأطفال والمراهقين ومن يقومون برعايتهم وفى الممارسات الخاصة مع البالغين وعملت كمشرفة علاجية. يشمل إهتمامها بخبرات الحياة الأولى الأساس لبحثها فى فهم كيف أن نمو المخ يتأثر بالعلاقات الفقيرة والإنتماء غير الثابت فى الطفولة المبكرة ، وكيف أن المُعالجون النفسيون بالفن يُمكنهم التعامل مع ذلك. ونشرت مقالات بحثية فى جريدة الجمعية البريطانية للمُعالجون بالفن The Journal of the British Association of Art Therapists وتحدثت فى كثير من المؤتمرات والمحاضرات فى المؤسسات والجامعات المختلفة . وتدربت الباحثة

على العمل كمعالجة نفسية بالفن فى جامعة Sheffield واكملت تدريباً متقدماً ودرجة الماجستير فى العلاج النفسى بالفن فى كلية Goldsmiths .

إن أزمة الصلة المبكرة تستمر في إساءة تشكيل العلاقة أو الانتماء حتى فترة طويلة بعد الأزمة أو الضرر الأصلي. والعلاقات المتضمنة داخلها ربما كانت في حالة انقطاع عن التواجد والظهور، مع عواقب بالتأكيد تظهر في الحياة المستقبلية للطفل. في الكتابة عن ثلاث أجيال لإحدى الأسر، والتي أفسدت حياتها أزمات العلاقات المليئة بالمشكلات. تصف Frances O'Brien الطرق الابتكارية التي يستخدمها العلاج النفسي بالفن للحصول على المعنى من خلال فن الطفل والصور اللفظية لجدته التي كانت تقوم برعايته والتي كانت تقابلها في هذه الأثناء. إن الهدف العلاجي من العمل مع الطفل وجدته هو إحداث تغيير في نمط العلاقة لكليهما والتدخل في التحول من جيل لآخر للعلاقات غير المنظمة.

لقد كتبت Frances O' Brien قبل ذلك عام ٢٠٠٤ عن النمو المبكر وكيف يتشكل المخ فعلياً من خلال العلاقة. وأما هنا فتركز على العلاقة والارتباط: كيف يرتبط الطفل بأبويه وكيف تنشأ حالة اللاأمان عندما يكون الأبوين غير قادرين على رعاية علاقة سليمة صحياً مع أطفالهما. وسوف تقدم ملخص عن كيف أن العلوم العصبية قدمت لنا فهم كيف يتم سير وتفعيل الخبرة في العمر المبكر وكيف أن الذاكرة تتصهر داخل نمو النظام العضوي وتستمر في تأثيرها على التوقعات والعلاقات طوال حياة الفرد.

الأطفال وأسرهم الذين يواجهون صعوبات تؤثر في جوانب حياتهم المختلفة، منها الاجتماعية والتعليمية والشعورية والسلوكية وغيرها، يتم تحويلهم علاجياً بواسطة ممارسون عموم ''GPs'' والمهنيون في فريق الخدمات للصحة العقلية للأطفال والمراهقين ''CAMHS'' داخل مركز خدمة الصحة القومي ''NHS''. تلك الصعوبات التي يواجهونها ربما تكون محددة وتؤثر فقط في طفل واحد في الأسرة، أو ممكن أن ينتشر تأثيرها ليصل كل أفراد الأسرة. ويهتم البحث الحالى بحالة إحدى الأسر لكن الأسر الأخرى تملك نفس الخبرات أو إلى حدٍ كبير خبرات مماثلة.

في خدمات الصحة العقلية للأطفال والمراهقين، يحول الطفل أو المراهق فقط إليهم لكن بالنسبة للأبوين وأشقاؤه وغيرهم ممن يرتبطون بأي علاقة مع الطفل، يتم لقاؤهم مبدئياً فقط. والطفل الذي يمثل موضوع هذا البحث حضر لفترة ما من الوقت علاج نفسي بالفن بينما زميلة أخرى للباحثة كانت تلتقي بجدته.

إن التغيرات التي حدثت في فريق العمل أدت إلى فقدان أو ضعف المعاونة بالنسبة للجدة، لكن نشأت حالة من القلق داخل الخدمات الاجتماعية والمدرسة عندما لوحظ أن نوعية الصعوبات تتعلق بقدرة الجدة على الرعاية الأبوية. على الرغم ان الباحثة كانت تدرك جيداً أن العمل على مستوى عميق مع فردين من أسرة واحدة عادةً ما يعتبر غير مناسب داخل نطاق العلاج النفسي الديناميكي. فلأن عدم وجود معالج آخر يعمل مع الجدة، فبدأت الباحثة تعمل معها أسبوعياً. وفي الكتابة عنهما تضع الباحثة سياق لقصة عملها تنتقل فيها تبعاً للأحداث وتصف النظرية بحسب ما يصنع المحتوى للخبرة من دلالات.

أزمة الصلة Relational Trauma

تصف الباحثة case عام ٢٠٠٥ الدور الحاسم الذي يلعبه الأبوين في خلق البيئة التي تنعكس داخلها الحياة الشعورية للطفل الرضيع بواسطتهما من أجل الحصول على المعنى أو الدلالة. وبذلك يهدفان إلى تحفيز النمو العقلي للطفل. لقد استخدمت الأفكار البحثية لكل من Schore ١٩٩٤ و ٢٠٠٣ و Gerhardt عام ٢٠٠٤ و Wilkinson عام ٢٠٠٦، للمساعدة في تفسير المركب المعلوماتي المعقد التي أعطتها نتائج البحوث في أنشطة المخ التنموية. إن أشكال العلاقة، آمنة أو غير أمنة. إنما تعتمد على خبرات الحياة المبكرة والحادثة في حينه. العلاقات الغير آمنة ممكن تقسيمها إلى علاقات التجنب وعلاقات يشوبها القلق أو العلاقات غير المنظمة. ويقترح الباحث Schore عام ٢٠٠٣ أن نمط العلاقة غير المنظمة / غير الموجهة كمركب، هو نمط موجود في الغالب في نفسية الأطفال الذين أسيئت معاملتهم بطريقةٍ ما أو بأخرى أو عاشوا إهمالاً. كما يذكرنا

الباحث بأن ذلك يرتبط بالصعوبات الشديدة في إدارة الضغط الحادث والسلوك اللا ارتباطي في حياة الفرد.

يُفسر Schore عام ٢٠٠٣ كيف أن العائل الذي يسيء معاملة الطفل دائماً ما تخيفه وغير قادرة على حمايته من أي سلوك مخيف من الآخرين من حوله والحديث للأم أو أي سيدة تقوم بدورها كون رعاية الطفل في عمره الأول تكون مسئولية نسائية. ولأن الراعية للطفل محتمل أنها لم تمر بخرة الانتماء والعلاقة مع أمها هي، فإنها لا تعرف كيف تلعب مع طفلها ولا تستطيع أن "تقرأ"، أو تفهم تعبيره عن حالة ضغط ما يعيشها. فربما تعيش مثل هذه الخبرة بشكل غير سليم فتكون استجابتها نحوها غاضبة أو قاسية أو قد لا تكون هناك استجابة مطلقاً. فهي غير قادرة على مساعدة طفلها في تكوين معنى حسي للاستمرارية لديه بل تزيد من حالة الضغط الذي يعيشها من خلال تنظيم أزمته الشعورية بأن تسيء معاملته أو تعمق اليأس لديه بواسطة إهمال احتياجاته، مما ينتج عنه تصرفه بشكل انفصالي منعزل ليهرب من ألم الإهمال. فالطفل لا يمكنه تحويل أو تغيير الضغط أو الأزمة التي يعيشها بمفرده. فهو في حاجة للمساعدة في تنظيم شعوره وعواطفه، فإن لم يكن هناك إصلاحاً لكل ذلك، فإن أزمته قد تستمر لفترات زمنية طويلة. ويذكرنا Schore أن هذا الضغط الذي يعيشه الطفل يصاحبه تغيرات مؤثرة في الكيميائية الحيوية لمخه غير الناضج، خاصة في مناطق المخ التي ترتبط بنمو قدرات التوافق لديه. إننا نعرف أن الاستجابة لخبرات الأزمة في أوقات متأخرة بعد معايشتها، تكون نتيجتها ضعيفة خاصة إذا كانت العلاقة الأولى غير آمنة.

تاريخ الأسرة المبكر: Early History

سوف نذكر في البداية مختصر عن تاريخ الأسرة قبل البدء في التحليل لفهم المؤثرات التي حدثت. الطفل المدعو Peter والذي يبلغ من العمر ٩ سنوات كان يوشك أن يُستبعد من المدرسة عندما بدأ العلاج النفسي. والدته تخلت عن مسئوليتها تجاهه وحاولت التخلص منه بإرساله إلى عماته المختلفين. واللواتي لديهم أيضاً شعور بعدم الأمان وصعوبة في العلاقات. وكان الطفل منطوي ومنعزل عن العالم ولم يكن له شخص مقرب إليه. كان في حاجة ماسة للشعور بالحب لكنه غير قادر على الشعور بالأمان فقد

تم إهماله أكثر من مرة سابقاً وهو الآن في رعاية جدته والتي تعاني من أنماط العلاقات غير الآمنة والتي كانت لها صدى لدى الطفل.

الجدة التي تُدعى Pearl في أوائل الخمسينات من عمرها. تعرضت لحادث اغتصاب من والدها وأهملتها الأم خلال فترة الطفولة. وفي سن ١٤ تعرضت لحادث اغتصاب من رجل عجوز وأنجبت طفلتها الأولى في سن ١٥. وعاشت لمدة سنتين هي وطفلتها في منزل سكني قبل الزواج بالرجل الذي اعتدى عليها. خبرتها في الحياة مع خمس أطفال ثم ولادتهم لاحقاً على فترات كانت عبارة عن الانعزالية والعنف والسخرية. لم تكن لديها الخبرة الكافية عما يحتاجه الطفل ومن المؤكد أن الأطفال أيضاً لديهم أنماط علاقات غير منظمة ومن المحتمل أن يكون الأب اعتدى على بناته جنسياً. والدة Peter هي الإبنة الرابعة للأم Pearl في البداية عاش وحيداً مع الأم وعندما بلغ الثالثة من عمره تزوجت الأم وأنجبت بنتان. هي وزوجها نبذوا Peter واعتنت به أخواته لفترةٍ ما. لكن أعرب سلوكه عن الإحساس بالألم والضياع واعتنت به الجدة وهو في سن ٨ والتي وجدت تشابه بين ظروف طفولتها وظروفه في محاولة منها لمساعدته في تحويل حياته بشكل مختلف.

كانت Pearl تحب أولادها وكان لديها الرغبة في العناية بهم لكنها لم تؤهل لذلك ولا تعرف كيف تفعل ذلك فهي لم تكن لديها علاقة مع والدتها والتي شعرت بإهمالها وتواطؤها في حادث الاغتصاب. فقد تم الاعتداء عليها جسمانياً وجنسياً من والدها أولاً ثم من أزواجها. وفقدت إنشاء علاقة بينها وبين أولادها في بدايات أعمارهم وفي فترات نضوجهم لم تكن متأكدة من أن حفيدها سيكون مثل المعتدي وهي تترقب نموه الذكوري بخوف وتهديدات الهجر. ولم تستطيع مساعدته في تعلم كيفية مواجهة الصعوبات أو التعقيدات في العلاقات.

ويذكر الباحث Mollen عام ٢٠٠١ أن ما يميز العلاقات السوية هو نمط إعادة إنشاء المواءمة بعد فقدانها وناقش الاضطراب ومحاولة الإصلاح عن طريق العائل الجيد لأنه لديه القدرة على مراقبة وضبط الانفعالات وخاصةً السلبية. أكد على ذلك أيضاً Gerhardt عام ٢٠٠٤ مقترحاً أن قطع العلاقات وإصلاحها هي الوسيلة للعلاقات

الآمنة. في السنوات الأولى من العلاج. كان يوجد نوع من التأثر لدى كلاً من Peter و Pearl يحدث لكن في مجال الانتظار والذي يوصي بأن Pearl لا تستطيع إقامة حدود مناسبة ولا معرفة كيف تنظم مشاعرها وفي أثناء العلاج اتضح أن القدرة على التنظيم أو الإصلاح مفقودة.

أهمية الصلة : The importance of Relationship

يولد الأطفال ولديهم استعدادات قابلة للتطور الكامل. وللجينات دور فعال في تشكيل المخ حتى الولادة ويستمر التطور في فترات الرضاعة والطفولة والبلوغ (Wilkinson, 2006; Carter 1998). ويذكرنا الباحث Trevarthe عام ١٩٩٥ أن التطور المستمر يعتمد على العلاقة مع الراشدين بدلاً من التركيز على مجموعة الإرشادات الواردة في الشفرة الجينية. كيفية اتصال الآخرين بالأطفال له أهمية قصوى. عندما تكون العلاقات فقيرة أو مسيئة فذلك يؤخر تطور المسارات العصبية لكن في العلاقات الآمنة تنمو المسارات العصبية وتشكل مجموعات لتصبح ذاكرة تمكننا من تطوير التفكير والعقل في المراحل الأولى من العمر يتفاعل الأطفال مع البيئة المحيطة من خلال التلقين والاستجابة للصوت واللمس وتعبيرات الوجه من الآخرين. علاقة الأمان لدى الطفل مرتبطة بالنظر إليه والتحول عنه من خلال التحية أو الضحك أو افتعال أصوات لإثارة الانتباه والاستجابة لها.

سيعرف الطفل تدريجياً احتياجه لأشياء معينة يريد تلبيتها مثل الغذاء والدفء والنظافة مما سيجعله سعيد ولا يترك فترة طويلة بمفرده. الطفل الذي يشعر بعدم الأمان لن تكون لديه خبرة مكونة فهو مهمل لمدد طويلة أو متناغم مع احتياجات والديه. كتب الباحث Teicher عام ٢٠٠٠ نحن نعلم أن الجينات توفر لنا الأساس والهيكل العام للمخ لكن هناك كم هائل من الاتصالات نحتت وتشكلت عن طريق الخبرة وأخبرنا الباحث Disturbingly أن سوء المعاملة هي الأداة التي تشكل المخ للتعامل مع الصراع لكن على حساب جروح عميقة ومستمرة. الطفولة السيئة لا يمكن تجاوزها فهو الشر الذي لابد أن نعترف به ونواجهه. (ص ٦٧).

ويفسر الباحث Teicher أن أزمة الاعتداء تؤدي إلى سلسلة من الآثار منها تغييرات هرمونية وعصبية والتي تنمي مناطق المخ الضعيفة (ص٥٤) الاعتداء بكل أشكاله النفسي والإهمال والجنسي والبدني يحدث ما يعرفه الباحث Teicher بأنها تأثيرات سلبية مستمرة على نمو المخ (ص٥١) وهناك أنواع معينة من الشذوذ العقلي الذي يظهر لدى المرضى المعتدى عليهم في الطفولة.

ذاكرة الوعي واللاوعيConscious and Unconscious memory

الشطر الأيسر من المخ وهو المسئول عن اللغة والوقت والمكان يتطور في سن ٣ ذاكرة الأطفال والمشاعر والأعضاء والمناطق القشرية هي مجموعة عمليات تعقد في الشطر الأيمن من المخ. يستخدم الطفل حواسه في التعرف على العالم من حوله ولاكتساب معلومات تكون هي الركيزة في تعامله المستقبلي مع الآخرين والعالم. وكرر Wilkinson عام ٢٠٠٥ شرح Schore. عندما تتضمن الأزمة عنف فهي تنطلق وتجمد رد الفعل الذي يتحول بدوره إلى خبرات في سياق التعامل المبكر في العلاقات ثم تنصهر في تطور الأعضاء والنظام اللا إرادي للنضوج المبكر للجزء الأيمن من المخ. ويصبح جزء من الذاكرة الضمنية ويؤدي إلى تغييرات هيكلية دائمة مما يؤدي إلى آليات غير فعالة للتعايش مع التوتر ولأن تلك الذكريات مخزنه من قبل أن يحدد الجزء العضلي الموجود في المخ والمسئول عن تخزين الذكريات وهو ما يسمى hippocampus. الذكريات الواعية طويلة المدى وقبل التطور اللغوي فلا يوجد ذاكرة واعية للخوف والإحباط لأزمة الصلة وذلك لا يعني أن الطفل المعقد لا يتأثر باستمرار بتلك الخبرات في علاقاته المستقبلية ويوصف Wilkinson عام ٢٠٠٥ الذكريات المبكرة أنها: كامنة وغير واعية وعاطفية وصعب الوصول إليها وتنشأ في الجزء الأيمن للمخ ضمن العمليات المسئولة عن المعلومات وقريب من مرحلة الولادة. ويختزن المهارات المكتسبة والاستجابات المشروطة والاستجابات العاطفية في مستوى اللاوعي الذي يظهر في أفعال الشخص وسلوكه بشكل جوهري.

صعوبة الوصول للذكريات الواردة في ذلك الوقت يكون ظاهر فلا يوجد علاقة بين السرد اللفظي والذكريات المعروفة ضمنياً وليس صراحةً. فيأخذون وقت وصبر للوصول إليها.

ويذكرنا الباحثان Turnbull و Solms عام ٢٠٠٣ أن هناك اختلاف كلي بين التذكر الواعي واللاوعي. وتتبع الذاكرة ينشط بدون أن يتيح لنا السرد المطابق للوعي. وتظهر الذكريات نفسها بطرق عدة جسدياً وسلوكياً وعاطفياً. ويلعبون دورهم في العلاقات الموجودة بشكل هدام وتخريبي في محاولات مستقبلية للحصول على الحب.

وفهم ذلك هو أساسي للعلاج النفسي الذي يفسر لنا أفعال ومشاعر مثارة دون سبب واضح ومليئة بالألم. وتعكس هذه الحالات الخبرات المبكرة المتصلة. عمليات العلاج النفسي تحتوي على ألغاز حول ما حدث. الذاكرة لا يمكن أن ترسل للعقل وعي واضح في التواصل اللاواعي أثناء عملية العلاج. نماذج الخوف التي تنشأ رداً على الانفعال العاطفي تظهر أثناء علاج الطفل الذي لا يستطيع الكلام لكن يظهر في أعماله الفنية الانسحاب من التواصل، النماذج تظهر في الممارسة المرتبطة بأعمال التلوين والمزج والرش على الأيدي والورق وطاولة بطريقة صعب احتوائها ويمكن أيضاً استخدام الطين والرمل بشكل مماثل.

هناك صعوبة ف إنشاء صورة وتخيلها – العملية الوحيدة المتاحة في تلك المرحلة هو الشعور الجسدي بفوضى الفصام وعمل مزيج غامض وغير محدد المعالم وذلك يعكس نقص البناء في العقل عندما تكون العلاقات مسيئة. فمحاولات الطفل أن يكون آمن باستخدام أنشطته لضمان إثارة الفكر لا يمكن حدوثها المرضى، الراشدون لا يعبرون عن أنفسهم عن طريق الرسم لكن هناك أوجه شبه للتفتت والفصام. يذكرنا الباحث Wilkinson عام ٢٠٠٥ أن العلاج في ذلك الوقت لم يكن مرتبطاً بالقلق أو الاندفاع أو النشاط الزائد للطفل لكن الهدوء والصوت المنخفض بدلاً من الصوت العالي والحفاظ على العلاقات العاطفية يساعد في تنظيم إثارة العواطف لدى الطفل وتجعله في علاقة مع الوضع الحالي بدلاً من خبرات الشعور الجسدي الخاص بذلك الحين. يمكن للمعالجين تبادل الخبرات الخاصة بالطفل الذي يعاني من الفصام بالتغلب على الشعور بالفوضى

وقلة المهارات والتفكك بإحضار مسرحية للجنون في جلسة العلاج فهناك الغاز في المسرحية تظهر كاستعارات لكن لا يوجد اتصال مقصود لأن الخبرة ليست جزء يمكن الوصول إليها في العقل بل تلعب دوراً في الذاكرة الضمنية والمبكرة. العمليات الفنية نشاط مسئول عنه الجزء الأيمن من المخ وتوصل إلى الجزء الأيمن المسئول عن مشاعر الإهمال والإساءة وفي الوقت نفسه تكون هناك علاقة بالجزء الأيسر من المخ عن طريق الأنشطة العلاجية. واستخدام الكلمات العلاجية لخلق معاني يُحدث دمج تدريجي للجزء الأيمن والأيسر للمخ وتوحيد بناء واضح للسرد المرافق ضمنياً للخبرة العاطفية لصنع العلاج النفسي.

لقد تم الأخذ في الاعتبار التأثيرات التي تحدث في العلاقات المبكرة وتستمر معه في الحياة عندما يكون طفل وتكون موجودة بشكل متتابع في حياته كراشد. الذي يحدث في العلاقات المبكرة على نحو ثابت يكون منقوش في الذاكرة وهو المسئول عن تحديد وتنظيم خبراته المستقبلية في الحكم على الأشياء.

أنماط العلاقات الموروثة عبر الأجيال والتي ينقلها الآباء للأبناء عند النشأة من خلال خبراتهم وثوابتهم. سنتحول الآن إلى الجلسات العلاجية لنرى تأثير تلك النظرية على العلاج والتواصل مع Peter.

الجلسات الأولية Early Sessions للعلاج النفسي بالفن:

بدأ Peter العلاج النفسي بالفن وهو في سن ٩ تم العمل معه بانفراد حتى وصل إلى سن ١٦ وتم بناء علاقة علاجية قوية معه لكن Peter وجد صعوبة في ذلك لأنه خائف من إعادة تجربة نبذه السابقة وكان في حالة تيقظ دائم ونشاط زائد وحاول أن يسيطر بإعطاء أوامر والغضب إذا لم تنفذ ثم تدريجياً شعر بالراحة وتعود على الجلسات بشكل مختلف.

الغرفة الفنية واسعة ومضيئة بها نوافذ بطول الحائط وباب موصل إلى الحديقة بنهاية الغرفة وهناك أيضاً سجادة على الأرض. الطاولات والخزانات توفر لنا العمل بحرية

وصناديق أحواض الرمل سهل الوصول إليها. هناك خزانات كبيرة تحتوي على دهانات وأزياء والتي يمكن الوصول إليها في أي وقت. في الجلسات الأولية كان Peter يدفع صندوق الرمل لمنتصف الغرفة ويضيف عليه الماء وعندما يتشبع الرمل يغرق نفسه به وينشر الرمال حوله حتى تتسرب على السجادة. قرر Peter في يوم أن يضيف دهان بني على الخليط وأصبح نشاطه يتسم بالإصرار والاندفاع وأنا أعرف أن فرص إيقافه على ذلك قليلة. أضاف Peter كميات غزيرة متدفقة من الدهان البني على الرمل ثم ملء فمه باللعاب وقام بطرد البصق بصوت عالي والمعالج يشاهد ذلك بشعور من الاشمئزاز ونشر ذلك على يديه وذراعيه وأراد أن ينشر ذلك على ذراع المعالج أيضاً فهو يريد أن يجعله يشعر بما يشعره هو بشكل ملموس مما جعل المعالج يتصور مدى تلوث وفساد العالم المحيط به. كان يريد أن ينقل إليه إنه يطيق ويتحمل الفوضى ولن تفسده ولا يريده أن يرى اشمئزازه أو نبذه له فهو يتفهم الخبرة الأليمة الموجودة لديه بسبب شعوره بأنه منبوذ ومرفوض من والدته. حاول نشر الخليط على الطاولة لكن الرمال الرطبة القذرة تقع على الأرض فوضعها في صواني لكنها تتساقط من الجانبين على الرغم من أنه قام بتزويد المعالج بصورة واضحة للعالم الداخلي له بدون حدود لم يكن Peter واعياً بما يشعر به. كان يعبر عن ذكرياته ضمنياً وشعوره بالفساد. لقد اكتشفت مؤخراً أن علاقته بوالدته مؤلمة. لم تكن تقوم بزيارته بشكل منظم ولا تحدثه في التليفون ولم تكن مهتمة عندما هرب من جدته وظل لمدة يوم كامل مفقود وذهبت إلى رحلة مكلفة مع بناتها من زوجها وادعت أنها لا تملك المال لسداد احتياجاته. وطلبت بشكل غاضب أن ترعاه جدته لصعوبة تصرفاته.

الألم النفسي المعرب عنها في كميات ضئيلة من خلال الصور

Psychic pain expressed in Tiny amounts Through Images

يصف الباحث Alvarez عام ١٩٩٢ احتياج الطفل المعقد لملايين الذكريات الصغيرة المشتملة على المشاعر غير المرغوبة والملازمة للمريض لفترة طويلة على الرغم

من إصرار Peter على التحدث في تجربته الأليمة فهو عبر عنها باستخدام المواد ويعلم أنه إذا سمح بالفيضان فسوف يغرق فأنشأ سدود من الطين والرمل التى وضعها في الصواني لتحتفظ بالماء وفعل ذلك ببطء بشكل غريزي ودون وعي. ووضع بيوت صغيرة في نهاية الصينة وصنع فتحات في السد الطيني مشاهداً الماء وهو يتشبع ببطء الرمال الجافة وإذا جرت الحياة خلالها بسرعة هرع لوقف التدفق حتى تظل البيوت آمنة في النهاية. وصف الباحث Terr عام ١٩٩٦ أن الأطفال ينعزلون عن العلاقات العاطفية بسبب الخبرات المؤلمة بدلاً من الثقة في اهتمام الآخرين بهم وسداد احتياطاتهم من حيث الغذاء والراحة والدفء والحب. فهم يكبتون تلك المشاعر ويحاولون الاعتماد على نفسهم وفي داخلهم اعتقاد قهري بأنهم يستطيعون الاكتفاء ذاتياً.

تتغير الصورة تدريجياً فـ Peter لم يعد يضيف ماء للرمال فهو يدفعها إلى نهاية الصندوق وعمل نفق بها مستخدماً قطع الخشب والبلاستيك لدعم الرمال الناعمة من الانهيار. هذا المشهد يذكرنا بأنه يبحث داخل جسد والدته فهو يحاول إنشاء ممرات فى الرمال الهشة وتقع بسهولة مثل علاقته بوالدته ويكون مسرور عند تكوين شكل الممرات ويمرر يده وذراعيه على الرمال كاملة وتعبيراً عن ولادته في اعتقادنا وكان المعالج يود رؤيته في ذلك الوقت ويتساءل ما هو رد فعل والدته تجاه ولادته هل كانت سعيدة به؟ نحتاج معرفة ذلك للعلاج قام Peter بعمل أكوام من الرمال على الأرض محاطة بدائرة داكنة تشبه صورة الثدي وفي منتصفه الحلمة صنع ذلك بواسطة وضع سلطانية دائرية من الماء فوق قمة الرمل. وتلك الصورة توضح مدى تشوقه لوالدته. وصنع طريق باستخدام عربة الأطفال لتحديد الشكل وكل أسبوع يصنع طريق آخر. وقام بدهن الخطوط لتوضيح الطريق من الحافة للوسط. ويستلقي على الأرض ويقوم بالقيادة حول الثدي متطلعاً إلى وجود طعام فيها. ثم قام بتوقف العربات على الحافة وتحرك جسدياً من المنطقة التي يعتبرها كرحم إلى الجزء الخارجي من الثدي للتغذية.

الاحتواء Containment

في المراحل الأولية للعلاج. الاتصالات الخاصة بـ Peter كانت تعبر عن فوضى عالمه الداخلي تحدثنا الباحثة Schaverien عام ١٩٩٢ عن دور الصورة في العلاج فهي تقترح أن حواف الورقة هي الحدود والتي تسمح باحتواء الصور التي لا يمكن السيطرة عليها. (ص٧١) فالصور الأولية التي صنعها Peter استخدم حواف الغرفة كحدود له فالصور لم تكن لها بناء ولا تشكل عالمه الداخلي تقول لنا الباحثة Schaverien أنه عند خلق الصورة ضمن العلاقة العلاجية وتحويلها بعد ذلك للعلاج يشبه إلى حد كبير النسج داخل الصورة. الصورة المتغيرة لـ Peter توضح احتياجه المتزايد للعلاج. ربما في بداية الأركان من الخطر أن يعرب عن غضبه تجاه الثدي وحجبه لكنه بدأ يعرب عن حبه ورغبته إليه وأمله أن يكون مرغوب. صنع Peter مكان منعزل له من الأوراق والأثاث ويجلس بداخله ويطلب من المعالج أن يحكى له حكايات. كان المكان دافئ ومظلم ووضع بداخله وسائد. فحكايات الأطفال تنطلق إلى العقل وجلس المعالج خارج الوكر الخاص به وهو يجلس بداخله متيقظ يسمع الحكايات التي تساعده في خلق المعاني وتجعله يعبر عن مشاعره وينشئ قصة. يتعمد الأطفال بوعي أو بدون وعي إظهار الكبت الموجود لديهم في الذاكرة والانفصال مستخدمين التنويم المغناطيسي الذاتي في التعبير عما فشلوا فيه فيجعلون الذكريات تنساب عن طريق توجيه الانتباه لشيء أقل بشاعة. (Terr 1996)

وعي Peter بتجربته أدت إلى فقدانه لعقله فهو لا يستطيع إنشاء سرد قصص ولا يجد مسلك مباشر للوصول فقد أنشأ صور عديدة بعناية باستخدام الفرشاة والقدور مثل لوحة الفنان التي تستند إلى الحامل وعليها القماشة المعدة للرسم. فهي مساحة للتحول في كتابة قصة أو نافذة على أعمال الأطفال الآخرين.

نقاط التغيير Points of Change

بدأ إنشاء البيت بعد بداية العلاج وكان معدل من جميع الأنحاء استغرق العمل به شهور وأوشك على انتهائه. تم بناء منزل بعجلات وتم تنفيذها بشكل مبهج. كل تعديل في المنزل لا مغزى ويعبر عن عالم Peter الداخلي بما فيه من انطواء وتغيير. المنزل الأول يعبر عن الحزن لا يصلح للمأوى أو الراحة صنع على شكل آثار قدم في نهاية جدار منحنى قليلاً في الأعلى لعمل غرفة نوم وفي النهاية الأخرى يوجد جزء مقوس من الخشب

والسلك وفي الوسط أريكة لها شكل غصن على أنه شجرة. كان Peter يريد عمل بناء قوي لكنه استخدم الورق والقش والسلك الرقيق على الأرض الطينية فكان البناء ضعيفاً. تم وضع البيت على قاعدة تمثال على شكل عمود معماري قديم وكان ذلك مستحسن وهام لكنه جعل المنزل غير ثابت ومستحيل الوصول إليه. وتحدث الباحث Schavern عام ١٩٩٢ عن الصور التي تصنع بديل لشيء فرغب فيه لكن صعب الحصول عليه. بداية تلك الصورة هي إدعاء غير واعي لمنزل وأم لكن النموذج الموجود لديه كئيب وبارد ومحفوف بالمخاطر. لم يكن Peter راضياً عن المنزل فهو منتقص وغير آمن وقام بتفكيكه قائلاً للمعالج أن مالك المنزل عاش فيه لمدة ثلاث سنوات وهي الفترة العلاجية لـ Peter وهو يريد التغيير. عالم Peter الداخلي تغير فقد قل شعوره بالعزلة وبدأ في ترميز العلاقات باستخدام الحيوانات. إعادة البناء. وأزال قاعدة التمثال وأقام أوراق من الألواح على الأرض ليكون آمن ومرتكز على الأرض وقام ببناء حوائط جديدة قوية وأحاطه بسلك خارجي وأصبح من الواضح إيجاد الحياة الحيوانية بوضعه الزواحف في الأسفل.

الحيوانات الأليفة تكون مجاورة والمتوحشة بعيداً. وعلى الرغم من صغر المنزل إلا أنه يوجد شعور بالاتساع. كتبت الباحثة Case عام ٢٠٠٥ عن استخدام الأطفال للحيوانات للتعبير عن خبراتهم بطرق عديدة في العلاج للتعبير عن أنفسهم أو الآخرين ووصف الطرق التي يكتسب الأطفال الخبرات من خلالها. لقد أدركت أن Peter مغرق في اللاوعي عندما أنشأ علاقة بين المنزل والحيوانات فالزواحف من ذوات الدم البارد في حين أن أشعة الشمس لا تصل دفئها لتحت سطح الأرض مما يشير إلى برودة المشاعر بينه وبين والدته التي لم تشعره بالدفء. هل كان يعرف أن الجزء الأولي للمخ المتحكم في الجهاز العصبي والذي يحافظ على ضربات القلب والتنفس والهضم والأنشطة اللاإرادية الأخرى التي تبقى على الحياة. الجهاز العصبي أيضاً مسئول عن انعكاس نظرية القتال والهروب المعروفة بـ reptilian Brain وهو جزء موجود في المخ مسئول عن عمليات القتال أو الهروب ويظهر في الحيوانات وهو ما يحتاجه Peter مما يفسر استخدامه للحيوانات.

عبر Peter عن احتياجاته من خلال الحيوانات فعندما كان في المدرسة الابتدائية كان يتجول من المنزل إلى الحقول التي ترعى الخيل. فقد قال للمعالج بحماسة عن مهر ولد هناك. ولفترة قام بتمثيل دور حصان خلال جلسات العلاج وصنع لنفسه لجام فهو يوثب على أربع ويرفس ويصهل مثل حصان جامح. فهو شبه نفسه بالحصان في حركات وصفاته. فهو يريد من المعالج أن أمسك اللجام وأهدئ من روعه مثل الحصان الصغير فهو تدرب على أن يكون حيوان أليف ومفيد ومسالم في الحياة الريفية. هو لا يطلب من المعالج أن يوقفه ولكنه يطلب تهدئة الحصان وتقول الباحثة Case عام ٢٠٠٥ فهي توصف الأطفال الذين لديهم مشكلة ويربطوها بالحيوانات فهم يأملون في المزيد من العلاقات من خلال ذلك. على سبيل المثال استخدم Peter الحصان والمهر والأبقار والحمير والماعز والعجول. استخدامه الأم والطفل في الحيوانات مثل البقرة والعجل يشير إلى سنواته الأولى فاحتفظ بهم في درج بحجرة العلاج ويطمئن عليهم في كل جلسة حتى يلحقهم بالحيوانات الأخرى في المنزل ولعدة سنوات احتفظ بنموذج البقرة والعجل على أرضية غرفة النوم في المنزل وهو رمز إيجابي عند وجوده في المنزل ويشعره بالدفء ورغبته الشديدة للعلاقة مثل ا يحدث في الجلسات.

الحيوانات المتوحشة الأخرى مثل الزرافة والأسد والدب وضعوا في مكان بعيد عن المنزل فهم يعبرون عن الحماية وإبقاء الخطر في الخارج وأيضاً للحراسة لضمان عدم التعرض لهجوم في الداخل ويعبر عما بداخله من توحش واندفاع وعدم تحكم والخطورة وعدم التنبؤ بما يمكن أن يفعله وانعكاس رغباته والتي تم تشخيصها مؤخراً أنها فرط نشاط وعجز انتباه مضطرب ADHD. التوحش يشير أيضاً إلى الأشخاص الموجودين في حياته وتأثيرهم عليه فربط بين والدته وبين التوحش في نبذها له ومحاولاتها في جعل الجدة أيضاً تنبذه. وأحاط المنزل بسياج كهربي منشأ بعناية للشعور بالأمان وإقامة حدود لا يمكن خرقها فهي تحيط بالمنزل بما فيها بوابة الدخول. يحتاج Peter للسيطرة على البيئة المحيطة به فهو يريد حاجز قوي حوله حتى لا يتأثر بنمط العلاقة المشوش لجدته ووالدته وزوج الأم فلا يمكنهم إيذائه. هو يحاول السيطرة على تدفق التفسيرات ووضعها في الحد الأدنى لكنه أحياناً يختار الاستماع

للمعالج كانت علاقة التفاعل بينهما غير لفظية من خلال الإيماءات والإسقاطات مثل علاقة الطفل القبل لفظية مع والديه.

الاتصال غير اللفظي يخلق إحساس بالدفء مما ينعكس على رعايته وتعليماته للنماذج الخاصة به. المنزل الأصلي أصبح مندمج في البنية المختلفة كلياً البنية المطورة في العمل الفني تعني أنها أصبحت متاحة ما يطور السرد.

العلاج النفسي المتزامن Simutaneus Psychotherapy

تمت مناقشة العلاج المتزامن مع مقدمي الرعاية بواسطة Chazen عام ٢٠٠٣ واكتشفت أن الأطباء يباشرون عملهم في الجزء الخفي للعمل مع الأطفال والعائلات بدون مناقشته بوضوح. بالإضافة إلى الحضور أسبوعياً لـ Peter و Pearl لفن العلاج النفسي واستخدام العلاج النفسي اللفظي معها.

تكلمت Pearl عن تجارب الطفولة ورعايتها لـ Peter فقد تخيلها طفلة صغيرة ومرتبكة ومهملة ومنعزلة وتهرب من الواقع وتعيش في جزء صغير بداخلها تلعب في الحديقة أو الشارع ودائمة السعادة والابتسام. من المستحيل وصف تحديد لعائلتها لأنها متشابكة جداً و Pearl نفسها لا تستطيع ذلك. لكن يعتقد أنهم كانوا طبيعيين وكانت مرتبكة وأرجعت ذلك للآخرين.

استغرق فهم السيرة الذاتية شهور عدة. تزوج والدها كما يبدو والدتها لكن الزوج الثاني لجدتها فقد كان أخ لزوج الجدة الأول. ووالدة Pearl كانت ابنة الأخ وذلك يبين لنا عالم Pearl المشوش. فقد كان والد Pearl أيضاً العم الأكبر وزوج الجدة. جدة Pearl عاشت معها ومع والديها حتى توفت كانت Pearl في سن ٤ آنذاك. تتكلم عنها Pearl بشكل عاطفي ومؤثر وتشعر بفضلها عليها فكانت لديها ذكريات وانشقاقات بين جدتها ووالدتها وتتكلم بشكل عدائي عن والدتها.

أودع والدها بالسجن بسبب عقوبة اعتداء جنسي على إحدى بناته من زواجه الأول. ولا يوجد شيء بخصوص اعتدائه على ابنة أخرى.

توصف Pearl حياتها الطفولية بالإهمال والإساءة والشعور بعدم اهتمام أي شخص بما يحدث لها. مسئول الرعاية قال لها أنها لابد أن تشعر بالامتنان لأن لديها أم وأب قالوا لها بضرورة البقاء خارج المنزل عند وجوده به بمفرده. فإذا ذهبت إلى المنزل قبل وجود والدتها فوالدها سيكون بانتظارها فستهرب من شباك الحمام وتبقى في الشوارع وهي تتساءل لماذا لا أكون مثل الأطفال الذين يذهبون لبيتهم ويتناولون الشاي.

ذكريات الطفولة لديها ليست مكتملة فلقد نشأت وليس لديها وعي كافي عن حدوث تلك الأشياء، كان عالمها مليء بالمخاوف والمجهول وحاولت تقليل مشاعر الخوف بأن تجعل كل شيء لا يخضع للعقل. وفي سن ١٤ أصبحت حامل من رجل عجوز أخته كانت صديقة لها فهي لا تعلم أي شيء عن جدها ولا تفسير لوضعها الحالي وعندما لاحظت الأم تغيير شكلها. وكانت خائفة من أن تسأل عن وضعها ولم تفهم محاولات إجهاضها أو لماذا اصطحبتها الأم إلى الشرطة وتم إلحاقها بدار رعاية أشبه بالحبس الاحتياطي فهي تشعر باستمرار بأنها معاقبة ومرتبكة وتتساءل دائماً عن كونها سيئة تقول Terr عام ١٩٩٦ أن الأزمة فصلتها عن الواقع.

وهكذا أصبح الجزء الصالح من النفس ليست لديه أي معرفة بالمقارنة مع الجزء السيء الذي لديه معرفة سابقة مما يشعرهم بأنهم أشرار.

تزوجت من الرجل الذي اعتدى عليها وكان يسيء معاملتها وطلقها بعد إنجابها للطفل السادس ثم تزوجت من رجل بدت عليه الطيبة لكنه كان يضربها بشدة لدرجة الإطاحة بها في أنحاء الغرفة وبالأثاث. الجروح الجسدية التي استمرت في الحاضر تمثل ألم مستمر لها مع إصراره بإحضار جميع الأطفال لمشاهدة الأم وهي تُضرب وحبسها في غرفة الفحم لمعاقبتها.

في مقابل تلك الخلفية حاولت Pearl العناية بستة أطفال وحاولت الحفاظ عليهم مثل ألعوبة وحمايتهم حتى يعتنوا بها لكنها لم تتحمل محاولاتهم للانفصال عنها فقد تم طلاقها عندما كان الأطفال في سن المراهقة وتركوها.

علاقتها الهشة والصعبة استمرت أثناء فترات العلاج الأولى.

العلاقة العلاجية أرست قواعد التفكير والثقة. استطاعت Pearl وصف الإساءة الجنسية والعاطفية لها وأدركت حدوثها. حاولت مساعدة Peter في الانفصال عن عالمه السيء. طورت Pearl شعورها بالأمان تدريجياً وأدركت لأول مرة أنها أقل تدميراً في علاقاتها. فأعادت الاتصال مرة أخرى بعائلتها وأعادت العلاقات الدافئة بأختيها من الأم وبواحد من أولادها على الرغم من علاقتها الغير مستقرة مع بناتها.

الاحتواء عنصر ضروري في علاج Peter خاصة عند وجود كسر وتصاعد مشاعر الخوف ونشوب اضطراب في المشاعر وغياب الخدمات الاجتماعية وتهديدات الهجر التي حدثت لـ Peter. حاولت Pearl الوثوق بأي شخص تافه باحثة عن الدعم لكن تصاعد القلق إليها بدلاً من البحث عن الاحتواء. وعند انعدام الدعم تراجعت للعالم المهيمن عليه الخوف وأتبعه التفكك بسرعة. ليس مؤكد أنها واعية للتهديدات وانسحابات Peter عند إعادة اتصالها بالعلاج كما أقرت في حوادثها التي أربكتها وبدت أنها لا تتذكر ما فعلت.

واصلت رؤية Pearl أثناء علاج Peter كانت تتحدث عن حياتها وعلاقتها العلاجية فهي قادرة على إصلاح علاقاتها وعلاقات Peter أيضاً. فهي على وعي بعلاقتها مع Peter بطريقة تلائم خبراتهم الحالية بدلاً من الخبرات السابقة. وصفت قصة Pearl بشكل متقطع بجانب محاولاتها معهم سلوك Peter. استمر علاج Peter بشكل متزامن وطور حواسه القوية بإرادته مع العلم بأن جدته تعطي له الإحساس بالأمان وعملا معاً على توطيد علاقتهم ببعض.

أنماط العلاقات غير المنظمة التي تنقل عبر الأجيال

Tansgenerational Transmission of disorganized attachment patterns

عند وجود عائلة لها تاريخ من العلاقات غير الآمنة ومشوشة ومتفككة فيمكن انتقال ذلك بسهولة من الراشد إلى الطفل. إثارة المشاعر المفقودة ويترتب عليها صعوبة تنظيم وإصلاح العلاقات الممزقة. العلاقات غير المنظمة تشبه جميع أنماط العلاقات

وتستمر عبر الأجيال وتقودنا إلى عدم التواصل بين الأم وطفلها وتبعاً لذلك سيشعر الطفل بصعوبة في جميع علاقاتها المستقبلية وقياساً على ذلك كل أطفالها المستقبلين. يقول الباحث Knox عام ٢٠٠٣ إن عالم الأبوين الداخلي بتأثيره التكويني يؤثر على نمط علاقة الطفل وتوافقه Brisch عام ٢٠٠٢ بأن البنية العقلية والحالة الذهنية للأبوين تؤثر على جودة العلاقات لأطفالهم وفحصت Steele and Steele عام ١٩٩٤ أنماط العلاقات التي تنتقل عبر الأجيال ووجدت أنه عند إنشاء الأطفال لعلاقة اتصال منفصلة مع إحدى الأبوين فإذا كان الطرف الآخر لديه أنماط علاقات رفض أو انشغال أو تزعزع في الرأي فسوف يظهر الطفل لا يشعر بالأمان ومنطوي ومتردد أو لديه نمط غير منظم في العلاقات ويتضح من ذلك فوائد دعم العمل الجماعي مع الوالدين لدراسة الأزمات التي واجهتهم في بداية حياتهم ودراسة صعوبات الاتصال مع الأطفال.

التغييرات الداخلية والتعبير عنها من خلال الصلات:

Internal Changes found and expressed through relating

بجانب بناء بيت لـ Peter هناك أنشطة أخرى تحدث على حد سواء منذ وقت طويل. لهم خاصية التفكك الذي لا يُطاق لكن بانعكاس كلي كانت عناصر هامة في تطور علاج Peter. يلعب ألعاب مثل كرة القدم والهوكي على الجليد وصنع Peter قواعد نادراً ما يبقي عليها وعبث بخياله أنه رياضي عظيم. ويقوم بشكل مفرط بالاحتفاظ والارتماء على الكرة في جميع أنحاء الغرفة علاقته الواقعية بالأرض أعطت له شعور حقيقي وإضافي بجسده وجلده معاً. فهو استحضر شعور الأب في تجربته فعبر عن البهجة والذكورة التظاهر بالطهي يحدث وإعتبر الأدراج مثل الأفران والطين على أنه أرغفة، قام Peter بدور مقنع في أن يحرص على ألا يحترق وان المعالج يشم رائحة الخبز واستحضر المعالج في ذهنه مطبخ جدته وإعدادها للكعكات اللذيذة واستدعاء الرغبة في المساعدة وحاول إغرائه بتقصير وقت اللعب لإيجاد سبل للتحدث عن عظمة التجارب لكن Peter كان يرفض ذلك طوال الوقت فهو مستغرق بعمق مستخدماً طرق عديدة

لترميز الخبرات ونقلها للمعالج. يبدو عليه الفهم ولكن المعالج ليس متأكد من فهم ما يريد توصيله إليه.

ربما ذلك لا يكون هاماً ولكن خبرته كانت في العلاقات والعاطفة والخبرة الضمنية ومثل الأطفال الجزء الأيمن من المخ الذي يتعلق بالاتصالات كان نشيط ونستطيع التكهن بأن نشاط المسارات العصبية أدت إلى عميق خبرات Peter عن طريق اتصاله بعقل شخص آخر.

منزل Peter أصبح يتمتع بالمزيد من الإحساس بالترتيب والمساحة فحطم الجدران وقام بتعديلها ودهانها وجلب أثاث جديد للمطبخ والحمام ووضع مرحاض وتم عمل خزينة مخفية في الحائط بمقبض زجاجي للحفاظ على الأشياء الثمينة. وتم إزالة الحيوانات الزاحفة والمتوحشة وأصبح هناك مساحة صغيرة للحيوانات الأليفة وتمت إضافة الزهور. أصبح المكان ينتمي إلى القاطنين به وتمت إضافة الأشخاص لأول مرة. ثم تثبيت السجاد والحوائط بلاصق داخل المكان. كان يوجد تصور بأن المكان للمعالج وهو وألمح بذلك عندما وضع سريرين في غرفة النوم وأصبح يوجد نوع من التكامل في المكان. الوحشية لديه اتخذت شكل الطفل مع والديه وعالم اللاوعي أصبح أقل ارتباطاً بالوعي.

دلائل التغير في Peter : Evidence of change in Peter

عوضاً عن الطفل الغاضب الذي يلقى بالماء والطين ويلطخ الغرفة بالدهان والذي يأكل أجزاء من السلك والخشب والبلاستيك والبوليستر ودائم الاستخدام للمقصات ويريد المساعدة دائماً. نشأ كمراهق وتحول التشويش لديه إلى إبداع فأصبح Peter يستوعب ما قدمه وأصبح لديه شعور بالأمان. استخدام Peter للعلاج النفسي بالفن أظهر تعلمه لكيفية تنمية العلاقات بعد عدة سنوات من الاتساق والأمان المرتبط به أصبح قادراً على الحصول على صورة نهائية من خلال إنهاء المعالجة فوصل إلى مرحلة من المعرفة يستطيع استخدام خبراته في رحلته إلى الاستقلالية.

يعرف Peter أن وقته في العلاج النفسي قد انتهى وسيذهب إلى الكلية الزراعية السكنية وهو فخور بذلك لكنه قلق بشأن ترك العلاج.

صنع Peter منزل في شاحنة في نهاية فترته. أنشأت العجلات الأمامية أولاً وصنعت بعناية بشكل متمحور حتى يمكنها التحول في أي اتجاه. الشاحنة لها عدة مجسمات بها أربع شخصيات بداخلها وهناك باب في السقف للوصول لغرفة النوم مصنوعة لـ Peter وللصورة الداخلية للشخص المحبوب إليه بها فراش ولحاف ومخدات مصنوعة من اللباد ومحاطة بحشو من داخلها وهناك مساحة خلف السائق لتحميل ما يريده من المحتمل أنها مساحة الحياة. وهي صورة مليئة بالأمل في أن Peter يواصل رحلته في الحياة في حافلة منشأة جيداً ويمكن أن تتضمن تلك الرحلة عائلة لها صلات جيدة مع بعضهم. أظهر Peter اهتمامه الخاص بـ Pearl وطلب من المعالج الاستمرار في علاجها بعد ذهابه إلى الكلية وأيضاً Pearl استمرت برعايتها له عند رجوعه من الكلية بدعم خطواته للعمل في مزرعة في وظيفة لا تحتاج لمهارات. كان طموحه أن يصبح سائق لوري عند كبر سنه.

استخدام الصور ساعد Peter في تنظيم التذكر اللاواعي وغير المنظم والعلاقات المبكرة المتأزمة وتحويلها إلى سرد واعي ومتصل. وهذا يشمل في البداية الانتباه لتأثير التنظيم لأنه كان لا يستطيع ضبط انفعالاته. طريقة Peter في الاتصال كانت تتسم بالتفكك والنشاط الحركي.

ترك العلاج ولديه ذاكرة وعي لتقرر التحدث عن العلاقات الأليمة وتغييرها تدريجياً لذلك حاول إنشاء علاقة مرة أخرى مع والدته وأختاه. وقرر العودة لاتجاه التعليم واكتساب مهارات لدعم حياته الراشدة.

التغييرات التي حدثت لـ Pearl أثناء العلاج النفسي:

Changes in Pearl Through Psychotherapy

هناك دليل على أن العلاج النفسي لـ Pearl جعلها تتمكن من إيجاد معنى لطفولتها وكشف ذكرياتها التي تنعكس على خبرات العلاج النفسي التي تجري داخلها. وعلى الرغم من أنها وجدت صعوبة في تغيير توقعاتها فذكريات اللاوعي انتقلت إلى ذاكرة

الوعي وبدأت تتحدث عن أشياء اعتقدت أنها نسيتها ومكنتها من إيجاد معنى لخبراتها التي لم يكن لها معنى وكانت تشعرها بالجنون.

انخفض ألمها الجسدي مثل محتويات عقلها التي لا تحتمل فألمها فقط في جسدها ولن يصل للعقل إلا عن طريق إجراء آمن من العلاقة العلاجية.

العمل مع Pearl خفض التشويش الداخلي لديها وساعدها على مقاومة التفكك عند التحفيز النفسي. أصبحت تشعر بالوعي وأصبحت سعيدة وأكثر ثقة في علاقاتها بسبب العلاج. وفي أثناء العلاقة العلاجية استطاعت الاستمرار بتبني Peter حتى لا يشعر بالانفصال أو أنه تائه في نظام الرعاية وحتى لا يجر إلى الشوارع والمخدرات أو للجريمة حتى يستطيع أن يعيش.

حاولت Pearl سابقاً تنظيم إثارتها بالانفصال ولذلك أبرزت شعور Peter بالهجر واستجاب لذلك بالتصعيد للسلوك غير المنظم لمحاولة إرجاعها للوعي والعمل المتزامن يساعد في الحفاظ على الثبات لكليهما كما أن المعالج قادر على احتواء وتنظيم الإثارة في علاقتهم ببعض. فهم قادرين على التحدث عن الخبرات الصعبة لكليهما. فوائد العمل بمجموعتين من العائلة تفوق التوقعات. كان Peter و Pearl واثقين من عدم تسرب العالم الداخلي الخاص بأحدهم إلى الآخر. عندما تحدث المعالج مع Pearl حول كتابة هذا التقرير قالت له بخجل لقد كنت الأم التي لم أعرف مثلها لنفسها ولـ Peter سوياً وهذا ساعدها في العناية به. اعتبرت نفسي أب لكلاهما. الألعاب الصاخبة مع Peter وإرساء الأمانة فكانت العلاقة يمكن بلوغها حد الأبوة. وكنت الشخص الذي يستطيع احتواء مصاعب رعاية Peter شبيهة بالأب الجيد بما يكفي وكنت على الدوام أدعم تلك الرعاية ولم أصعدها للخوف أو التغيير من وضع لوضع في العقاب أو العنف أو الرفض لحياته.

استحضر Peter ذكريات الأزمة الأولى لـ Pearl لكنها أصبحت تدريجياً قادرة على إيجاد الاستقرار والتفكير بذلك قبل الاستجابة على الرغم من التغييرات المستمرة في الحياة أنماط السلوك أصبحت مرسخة بعمق وأصبحت Pearl بدون دعم حتى منتصف عمرها.

التدخل المبكر يسهل من التغيير:

Early Intervention Facilitates Change

عـلاج Peter فـي مرحلـة مبكـرة أعطـى لـه فرصـة كبيـرة للتغييـر. استـخدم العمليـة الفنيـة للتعبيـر عـن ذاكـرة اللاوعـي للجسـد وتحويلهـا لأفكـار يمكـن الاحتفـاظ بهـا فـي الـذهن واستخدم الصـور لكشـف العلاقـات والتعبيـر عـن حزنـه وغضـبه وإنشـاء صـورة مجـردة عـن حياتـه المبكـرة. فالعمليـة الفنيـة كانـت ضـرورية لإنجـاز تقـدم. ولـم يسـتخدم العـلاج النفسـي اللفظي لأنه وجد ما يريده في العلاقة مع المعالج من خلال أعماله الفنية البعض يعتقد أنه مـن الرفاهيـة عـرض هـذا المسـتوى مـن الـدعم لأسـرة أو إربـاك طبيـب واحـد للعمـل بشـكل متزامن مع فردين من عائلة واحدة.

العلاقات غير الآمنة المبكرة تكون بداية غير مطمئنة لكن Pearl استفاقت بشكل كبير من العلاج النفسي والذي ركز على علاقاتها ولذلك استطاعت تدعي العلاقات الآمنة بشكل كبير لـ Peter.

ممارسـة العمـل ليسـت الأولويـة للعمـل بشـكل عميـق مـع الآبـاء أو مقـدمي الرعايـة وأيضـاً التمويـل غيـر المتـاح ومـع ذلـك مكـان العمـل الخـاص بالمعـالج أعطـى الـدعم للاستخدام غير الرسمي للعلاج النفسي فمقدمي الرعاية أعطوا احتواء كافي لجعل Pearl تتمكن من تدعيم تغييراتها والتي من ناحية أخرى أثبتت مخاوفها منها ومن خلال هذا واصـل Peter التعليم وأصـبح خـارج النظـام العلاجـي. علـى الـرغم مـن الصـعوبات التـي واجههـا فـي طفولتـه أصـبحت النتـائج مرضـية. وأثبتـت فاعليتهـا فـي التكلفـة لأن الخـدمات الاجتماعية تدخلت بشكل محدود إضافةً على ذلك على ما يبدو أن مستقبل Peter كرجل عامـل لا يعتمـد علـى خـدمات الصـحة النفسـية. بـدون العـلاج النفسـي مـن غيـر المتوقـع التغلب على المشاكل وكنقطة أخيرة لتكملة هذا التقرير. جاء Peter في زيارة غير متوقعة للمعالج فقد أصبح برأيه رجل صـغير بصـحة جيدة ويعيش باستقلالية وأجرى مقابلـة للعمل في الشرطة كشرطي مرور وتكلم مع المعالج عن العلاج النفسي وعن طفولته قائلاً له لم أكن أنشأ بدونك وهذا إثبات غير متوقع لقيمة العمل المليء بالشك وأصبح Peter قادر على التفكير في ماضيه وحزين على ما فقده ويأمل في مستقبل أفضل.

ملخص : العلاج بالفن وأنماط الانتماء عبر الأجيال : داخل وخارج المنزل . تصف الباحثة Frances O'Brien الانتماء غير المنظم في انتقاله عبر الأجيال في عملها الفردي مع الجدة والحفيد. هذا البحث يتناول رعاية القرابة وأزمات العلاقة المبكرة فضلاً عن تفسير مفيد لمساهمة العلوم العصبية في فهمنا لكيفية تعامل الطفل مع خبراته الأولى. وهذا يعطى مقدمة للتفكير في الذاكرة واللاإرتباط وكيف أن ذلك يؤثر في بعض الأطفال. خاصة هؤلاء الأطفال الذين يلقون رعاية واضحة. الوصف الإكلينيكي يُشير إلى كيف أن استخدام صور العلاج بالفن بالإضافة إلى الصور اللفظية من العلاج النفسي يكون واضحاً وحياً في العمل.

Conclusion:

Art Therapy and Attachment patterns through the generations:

Internal and external homes:

Frances O'Brien discusses the trans-generational transmission of disorganised attachment in her simultaneous individual work with a grandmother and grandchild. This research encompasses kinship fostering, and early relational trauma, as well as a helpful account of the contribution of neuroscience to our understanding of how an infant processes early experience. This provides an introduction to thinking about memory and dissociation and how this impacts on certain children, particularly those who are looked after. The clinical description demonstrates how use of art therapy images as well as verbal images from psychotherapy are vivid and alive in the work.

References

1- Alvarez, A. (1992) *Live Company Psychanoalytic Psychotherapy with Autistic, Borderline, Deprived and Abused Children*. London: Routledge.

2- Brisch, K.H. (2002) *Treating Attachment Disorders: from Theory to Therapy*. New York: Guilford Press.

3- Carter, R. (1998) *Mapping the Mind*. London: Phoenix.

4- Case, C. (2005) *Imagining Animals: Art, Psychotherapy and Primitive States of Mind*. Hove: Routledge.

5- Chazan, S.E. (2003) *Simultaneous Treatment of Parent and Child*, 2nd edn. London: Jessica Kingsley.

6- Gerhardt, S. (2004) *Why Love Matters: How Affection Shapes a Baby's Brain*. Hove: Brunner-Routledge.

7- Knox, J. (2003) *Archetype, Attachment, Analysis: Jungian Psychology and the Emergent Mind*. Hove: Brunner-Routledge.

8- Mollon, P. (2001) *Releasing the Self: The Healing Legacy of Heinz Kohut*. London: Whurr.

9- O'Brien, F. (2004) The making of mess in art theraphy: attachment, trauma and the brain, *The Journal of the British Association of Art Therapists: Inscape*, 9(1): 2-13.

10- Pynoos, R.S., Steinberg A.M. and Goenjian, A. (1996) Traumatic stress in childhood and adolescence, in B.A. van der Kolk, C. McFarlane and L. Weisaeth (eds) *Traumatic Stress: The Effects of Overwhelming Experience on Mind, Body and Society*. London: Guilford Press.

11- Schaverien J. (1992) *The Revealing Image: Analytical Art Psychotherapy in Theory and Practice*. London: Routledge.

12- Schore, A.N. (1994) *Affect Regulation and the Origin of the Self: The Neurobiology of Emotional Development*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum.

13- Schore A.N. (2003) *Affect Dysregulation & Disorders of the Self*. New York: W.W. Norton.

14- Steele, H. and Steele, M. (1994) *Intergenerational Patterns of Attachment, Advances in Personal Relationships*, 5: 93-120.

15- Teicher, M. (2000) Wounds time won't heal, *Cerebrum*, 2: 4.

16- Terr, L.C. (1996) True memories of childhood trauma: flaws, absences and returns, in K. Pesdek and W.P. Banks (eds) *The Recovered Memory/False Memory Debate*. Burlington, MA: Academic Press.

17- Trevarthen, C. (1995) Mother and baby – seeing arffully eye to eye, in R. Gregory, J. Harris, P. Heard and D. Rose (eds) *The Artful Eye*. Oxford: Oxford University Press.

18- Turnbull, O. and Solms, M. (2003) Memory, amnesia and intuition: a neuropsychoanalytic perspective, in V. Green (ed.) *Emotional Development in Psychoanalysis, Attachment Theory and Neuroscience*. Hove: Brunner-Routledge.

19- Wilkinson, M. (2005) Undoing dissociation – affective neuroscience: a contemporary Jungian clinical perspective, *Journal of Analytical Psychology*, 50(4): 483-501.

20- Wilkinson, M. (2006) *Coming into Mind, the Mind-brain Relationship: A Jungian Clinical Perspective*. London: Routedge.